الإبانة عن أصول الديانة
لأبي الحسن الأشعري

٣٢٤ هـ / ٩٣٩ م

تقديم وتحقيق وتعليق
دكتورة فوقية حسين محمود
كلية البنات جامعة عين شمس ـ القاهرة

جزءان
(ج ١ ، ج ٢)

توزيع
دار الأنصار
٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٢١٥٨١

حقـوق النشر محفوظة

طبعة أولى ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

(٢) سورة البقرة مدنية

وآياتها مائتان وثمانون وستة آلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِالْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

ان أبا الحسن الأشعرى من الشخصيات التى نالت فى عصرنا الحاضر قدرا من الاهتمام بين الباحثين ، خاصة المستشرقين منهم ٠

ومن بين الدراسات العربية التى خصت هـذا الإمام بالبحث كتـاب : (أبو الحسن الأشـعرى) للمرحوم الدكتور حمودة غرابة(١) الذى قام أيضـا بتحقيق ونشر كتاب : (اللمع فى الرد" على أهل الزيغ والبدع) للأشعرى(٢) ٠

كمـا اهتم الأسـتاذ محيى الدين عبـد الحميد بتحقيق ونشر كتـاب (مقالات الإسلاميين) للأشعرى(٣) ٠ وهناك دراسات عنـه موجزة متعددة فى كتب تاريخ الفلسفة بالعربية(٤) ٠

أما دراسات المستشرقين : فمنها ما يتناول مصنفاته بالتحقيق والدراسة ومنها ما يتعرض لآرائه وما لها من أثر فيمن جاء بعده من الأشاعرة وغيرهم ٠ ومنها ما يتضمن ترجمة لبعض رسائله وكتبه ، أو أجزاء منها ٠

فلدينا ريتر Ritter الذى قام بنشر كتاب (مقالات الإسلاميين) لأول مـرة مـع التحقيق والتقـديم له (٥) وكلاين Klein الذى ألحق

---

١ ــ ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ م القاهرة ــ مطبعة الرسالة بعابدين ، وظهرت طبعته الثانية ضمن مطبوعات مركز البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة ١٩٧١ م ٠

٢ ــ ظهر ضمن سـلسلة جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر مكتبـة الخانجى القاهرة سنة ١٩٥٥ م ٠

٣ ــ ظهرت هذه الطبعة بالقاهرة سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ٠

٤ ــ توجد دراسة للسيد الدكتور جلال موسى كان قد تقدم بهـا لنيل درجة المـاجسـتير فى الآداب (تخصص فلسفة) من جامعـة الاسكندرية وعنوان البحث هو : (نشأة الأشعرية وتطورها) تحت اشراف د ٠ على سامى النشار حيث خصص جزءا منه لدراسة الأشعرى وآرائه ــ وأيضا كتاب (مذاهب الإسلاميين) للدكتور عبد الرحمن بدوى وقد جمع فيـــه الكثير من المعلومات عن الأشعرى ومصنفاته ٠

٥ ــ Edition Ritter, Bibliotheca Islamica. Vol. Ia, Ib, Ic, Istamboul 1930.

بدراسته عن الأشعرى ترجمة انجليزية لجزء من كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)(٦) ثم مكارثى Mc. Carthy الذى ترجم بعض مصنفات الأشعرى الى الإنجليزية مثل (اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع) (٧) و (رسالة استحسان الخوض فى علم الكلام)(٨) التى ظهر بالبحث أخيرا أنها ليست للأشعرى(٩) وقد اهتم الأب مكارثى بكتابة مقدمة للتعريف به وبآثاره وأهم آرائه ٠

ثم دكتور مونتجمرى واط M. Watt. الذى كتب عن الأشعرى بدائرة المعارف الإسلامية مقالا بين فيه موقف الأشعرى ممن سبقه ولحقه من المتكلمين(١٠) ٠

وكذلك بروفسور توماسون(١١) W. Thomson الذى كتب مقالا بمجلة Moslem World عرض فيه آراء الأشعرى من خلال كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) ٠

وهناك عدد آخر من الباحثين ممن اهتموا بدراسته مثل نيبرج Nybeng(١٢) وماسينيون Massignom (١٣) ولاووست Laoust (١٤)

---

٦ ـ Dr. Klein. English translation of the Ibana - New Haven (U.S.A.) 1940

وقد نبهنا أعلاه الى أن الترجمة ليست للكتاب بأكمله ولكن لجزء منه

٧ ـ Mc. Carthy in : The theology of al-Ash'ari-Beyrouth 1953.

٨ ـ أنظر المرجع رقم ١

٩ ـ أنظر كتاب (مصنفات منسوبة لأبى الحسن الأشعرى) ٠ بقلم دكتورة فوقية حسين محمود (تحت الطبع) ٠

١٠ ـ مقالة باللغة الإنجليزية بدائرة المعارف الإسلامية

Art. al-Ash'ari dans, E. I. (2) I, 716.

١١ ـ أنظر Thomson (W) al-Ash'ari and his al-Ibànah, dans Moslem World XXXII 1942. pp. 242 - 260.

١٢ ـ أشار اليه فى دراسته عن المعتزلة بدائرة المعارف الإسلامية ٠

Nyberg : art. al-Mu'tazila dans E. I. III, pp. 841 - 847.

١٣ ـ أشار اليه فى مقالة عن الكرامية بدائرة المعارف الإسلامية

Massignon. art. Karmates, dans E. I., II 813 - 818.

١٤ ـ أشار اليه فى دراساته عن الحنابلة أنظر

Laoust - Les Premières Professions de foi hanbalites, ds Melanges III, pp. 7 - 35, Damas 1957.

وأرنالديز(١٥) Arnaldez وأخيرا الأب ميشل آلار(١٦) Michel Allard الذى كتب دراسة مستفيضة عن (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى

وبعض كبار الأشاعرة) غير أن هذه الدراسات : العربى منها والأجنبى ، تناولت الأشعرى سيرة ومذهبا ، وقد أسقطت من حسبانها قيمة ابراز العناصر الإسلامية التى تدخلت فى تكوينه ، ونشأته الأولى ، وغضت النظر عن بعض حقائق ايمانية عند تحوله عن الاعتزال ، كما أغفلت حقيقة منهجه وما يمكن أن يكون قد نسب اليه من رسائل بعد تحوله عن الاعتزال ، الأمر الذى كان له أثره فى تبين الأبعاد الحقيقية لمذهبه ، خاصة وأنه حدث أن ألقيت الأضواء أولا على ثقافته المعتزلية ، الأمر الذى جعل الدارسين يعتبرونه صاحب موقف وسط بين الاعتزال والسنة ٠

واذا رجعنا الى سيرة الإمام الأشعرى نجد أنه قد عرف ، قبل اقباله على الاعتزال علوم القرآن والحديث ، فقد كان والده (حديثيا سنيا جماعيا) على نحو ما سنتبين ذلك تفصيلا بعد ، فهو من بيت علم ودين ، ولا غرابة فى ذلك وهو من سلالة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ٠

ولعل هذه الخلفية السنية ، هى التى كان لها أثرها فى أن استيقظت نفسه بعد أن مارس الاعتزال ثلاثين عاما ، فاذا به يتحول فجأة الى الحق ، الى طريقة السلف الصالح ٠

لذلك رأينا أن نعاود كتابة سيرة أبى الحسن الأشعرى ، من أجل ابراز العناصر الإسلامية فى هذه السيرة ، ونبين حقيقة المنهج الذى أراده لنفسه بعد خروجه عن الاعتزال ، ونقدم دراسة عن مصنفاته للتعريف بما نسب اليه خطأ(١٧) ، مما يعين على تخليص آرائه من الشوائب والأدران التى علقت بها خطأ ٠

وذلك تمهيدا لتحقيق الكتاب الذى بين أيدينا وهو كتابه : (الإبانة عن

---

١٥ ـ أنظر — Arnaldez : Grammaire, et theologie chez Ibn Hazm de Cordoue, Paris 1956.

١٦ ـ أنظر — Le Probleme des Attributs divins dans la doctrine d'Al ash'ari et de ses premiers Grands disciples - Beyrouth 1965.
وهو من بحوث ودراسات معهد الآداب الشرقية ٠

١٧ ـ أنظر هامش رقم ٩

أصول الديانة) • الذى لم يسبق أن حقق كاملا تحقيقا علميا على مختلف نسخه الخطية(١٨) •

هذا وانى أتقدم بالشكر لكل من عاوننى فى اخراج هـذا الكتاب ، وأبدأ بالسادة المسئولين بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، الذين تفضلوا مشكورين فصوروا لى نسختى : بلدية الاسكندرية ، ومكتبة ريفان كوتشيك •

كما أشكر السادة المسئولين بالمكتبة العـامة للأزهر الشريف ، الذين سمحوا بتصوير النسخة الخطية (للإبانة) الموجودة بمكتبتهم • وأشكر السادة المسئولين بدار الكتب المصرية على تفضلهم بتصوير ما احتجت اليه من مكتبتهم خاصة النسخة الرابعة للإبانة •

وأتوجه بالشـكر للسـادة الآباء الدومينيكان بمعهد الدراسات الشرقيـة بالقـاهرة الذين تفضلوا فسمحوا لى بالتردد على مكتبـة المعهد للاطلاع على الدراسات الأجنبية التى قامت حول الأشعرى • وكذلك السادة المسئولين بمكتبتى جامعة عين شمس والقاهرة على ما قاموا به من جهـد لتيسير مختلف المراجع التى احتجت اليها فى التقديم لهذا الكتاب وتحقيقه والتعليق عليه •

ولا يفوتنى أن أشكر السـادة الذين قاموا بطبع الكتـاب على تعاونهم الصادق فى اخراجه رغم صعوبة الظروف التى تم فيها هـذا الطبع •

والله الموفق الى ما فيه خير المسلمين أجمعين ،،

مصر الجديدة { ١٣٩٦/١٠/٢٨ / ١٩٧٦/١٠/٢٢

فوقية حسين محمود

---

١٨ ـ لكتاب الإبانة عدة طبعات بدون تحقيق علمى :

(ا) الأولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند سـنة ١٣٢١ هـ بآخرها فهارس وضميمتان تتعلقان بمـا جاء فى صفحة ٣٥ منها لمولاى محمد على عنايت الحيدر أبادى •

(ب) والثانية بالمطبعة المنيرية بالقاهرة (بدون تاريخ) •

(جـ) والثالثة بمطبعة الجمل المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ (هـذا ما وصل الى علمى عن نسخها الخطية) •

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة أبي الحسن الأشعري

اسمه : هو على(١٩) بن اسماعيل بن أبى بشر(٢٠) اسحق بن سالم

---

١٩ ـ (الفهرست) : لابن النديم ص ١٨١ ـ (تاريخ بغداد) : لابن الخطيب م ١١ ص ٣٤٦ ـ (تبيين كذب المفترى) : لابن عساكر ص ٣٤ وما بعدها ـ (رسالة البيهقى) : أنظر ص ١٠٢ من (تبيين كذب المفترى) ـ (شذرات الذهب) : لابن العماد ج ٢ ص ٣٠٣ ـ (المشتبه فى أسماء الرجال) : للذهبى ج ١ ص ٢٦ ـ (طبقات الشافعية الكبرى) : للسبكى ج ٢ ص ٢٤ وفى الطبعة الحديثة تحقيق الأستاذ محمود الطناحى والدكتور عبد الفتاح الحلو ج ٣ ص ٣٤٧ ـ (وفيات الأعيان) لابن خلكان : ج ١ ص ٣٢٦ ـ (البداية والنهاية) · لابن كثير ج ١١ ص ١٨٧ ـ (الخطط) : للمقريزى ج ٣ ص ٣٠٧ ـ (جلاء العينين) : للألوسى ص ١٣٢ ـ (دمية القصر وعصرة أهل العصر) : للباخرزى ·

هذه هى أبرز المصادر القديمة فى سيرته · [ثم أنظر بعد ذلك كتاب (تاريخ الآداب العربية) لبروكلمان الطبعة الثانية ليدن ١٩٤٩ ملحق ١ ص ٢٢٧ ، وملحق ٣ ص ٣٤٥ ـ (تاريخ التراث العربى) لفؤاد سزجين · ص ٦٠٢] ·

ومن أوفى المصادر القديمة كتاب (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٩٥ م) وان كان ليس أقدمها ـ فهناك كتاب (الفهرست) : لابن النديم (ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٧ م) و (تاريخ بغداد) : للبغدادى (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) · ويهاجم بعض الباحثين المحدثين كتاب ابن عساكر ، على اعتبار أن مؤلفه قد ذكر مناقب أبى الحسن ، كما اعتمد فى تفسير بعض الأحداث ، مثل تحول أبى الحسن عن الاعتزال ، على الرؤى ، وهو مالا يتفق والأسلوب العلمى فى رأيهم · فقد صرح الدكتور حمودة غرابة بأن الكتاب : (ملىء بالبشارات ، والرؤى والأشعار) [أنظر صفحة ٤ من كتابه (الأشعرى) =

ابن اسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن موسى الأشعرى ٠ وكنيته : (أبو الحسن)(٢١) ٠

وقد قيل : (الأشعرى) من (أشعر) ، وقيـل : (انما سمى أشعر ، لأن أمه ولدته وهو أشـعر)(٢٢) ٠ والأشعر من أولاد سـبأ الذين كانوا

= القاهرة ١٩٥٣ طبعـة أولى] ٠ وسار على منـواله الدكتور جلال موسى فى بحثه (نشأة الأشعرية وتطورها) (تحت الطبع) وكذلك الأب آلار فى كتابه : (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى وبعض كبار الأشاعرة) ٠ طبعة المكتبة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٥ من بحوث ودراسات معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان ٠

Le Probleme des Attributs Divins dans La Doctrine d'Al-Asha'ari et de ses premiers grands disciples. Par Pere Michel Allard - Beyrouth 1965.

[أنظر صفحة ٣١ من هـذا المرجع] كما ذكر أن سند بعض الأخبار لديه ضعيف خاصة وانه يكتب عن الأشعرى بعد فترة تزيد على مائتين سنة [نفس المرجع السابق] ٠ وانى أرى أن ابن عساكر مؤرخ له قدره ومكانته فى مجال التأريخ ، وأنه اذا كان قد حرص على ذكر مناقب الأشـعرى ، فلأنه كان بصدد الردّ على المفترين على هـذا الإمام ، أما اعتماده على الرؤى ، فيجب أن نتبين أنهـا ليست رؤى عادية ، وانما هى رؤى تحدث فيها النبى صلى الله عليه وسلم مع النائم وهو أبى الحسن الأشعرى [انظر تفصيل ذلك فى هذا التقديم بعد] ٠

٢٠ ـ ذكر الأهوازى [ت ٤٤٦ هـ / ١٠٥٥ م] وهو من الحشوية ، وصاحب كتاب : (مثالب أبى بشر الأشعرى) أن أباه هو أبو بشر وليس جده ، ويصحح ابن عسـاكر ذلك فيقول : (والصـحيح أن أبا بشر جده) [أنظر تبيين كذب المفترى ص٣٥] وهو ما يتفق مع ما ورد فى المصدرين السابقين على (التبيين) وهما (الفهرست) لابن النـديم ص ١٨١ (وتاريخ بغـداد) للخطيب البغـدادى م ١١ ص ٣٤٦ ـ ويذكر له ابن عساكر اسم كتاب هو : (البيان فى شرح عقود الإمام) [التبيين ص ٣٦٩] ويوجـد لـكتابه (مثالب أبى بشر) نسـخة بمكتبـة الظاهرية تحت رقم ٤٥٢١ (عام) أنظر تاريخ الآداب العربية لبروكلمان ملحق ١ ص ٧٢٠

٢١ ـ أنظر هامس ١ من هذا التقديم ٠

٢٢ ـ الأنساب : للسمعانى ص ١٣٩ ـ جلاء العينين للألوسى ص ١٣٢ ـ نهاية الأرب للقلقشندى : ص ٤١

باليمن ، ثم لما بعث النبى (صلى الله عليه وسلم) • هاجر رهط منهم ، وعلى رأسهم أبو موسى الأشعرى الى أرض الحبشة ، وأقاموا مع جعفر ابن أبى طالب (رضى الله عنه) ، حتى قدموا جميعا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بغية التعرف على دين الله الحنيف واشهار اسلامهم • ومما يستحق الذكر عن هؤلاء القوم أنهم لما اقتربوا من المدينة صاروا يرددون : (غدا نلقى الأحبة ، محمدا وحزبه)(٢٣) • هؤلاء هم قوم (أبى الحسن) أصلا وهذا هو شعورهم نحو الإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام •

وقد حاول بعض المفترين ادعاء أن نسبته الى أبى موسى الأشعرى الذى جاء مع قومه ليلقى الرسول عليه الصلاة والسلام(٢٤) ، غير صحيحة ، ولكن ابن عساكر يكذب هذه الفرية ، ويذكر أن الناس (قد أجمعوا على ذلك ، يقصد من سبقه من المؤرخين ، وأصحاب كتب الأنساب(٢٥) ، والمشهورين من أهل العلم جميعا • خاصة وأن أجداد (أبى الحسن) من أحفاد (أبى موسى) كانوا من مشاهير القوم ، وآلت اليهم أمور حكم المسلمين(٢٦) •

فليس هناك ما يدعو الى تكذيب هذا النسب ، (فأبو الحسن) من سلالة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى •

---

٢٣ ـ تبيين كذب المفترى : لابن عساكر ص ٤٦

٢٤ ـ نفس المرجع السابق ص ٣٥

٢٥ ـ الاستيعاب : لأبى عمر بن عبد البر ص ٩٧٩ باب الأسماء ـ أنظر أيضا باب (الكنى) ق ٤ ص ١٧٦٢ (نسب أبى موسى جده) •

٢٦ ـ أنظر طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٣٥١ تحقيق الأستاذ محمود الطناحى ـ د • عبد الفتاح الحلو ، ومن الباحثين المحدثين الذين اهتموا بالحديث عن أسرة أبى الحسن من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية • الأب آلار • اذ أشار الى جهود أبى موسى فى الفتوح الإسلامية وما كان له ولأحفاده بعد ذلك من مساهمة فى الاحتفاظ بما حصلوا عليه من ممتلكات • [أنظر صفحة ٢٩ من كتابه (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى وبعض كبار الأشعرية ـ طبعة بيروت ١٩٦٥] ويلاحظ أن اشارته هذه لا تعرف تعريفا صحيحا واضحا بحقيقة مكانة أبى موسى الأشعرى وجهاده وتضحيته بالروح والمال والبنين فى سبيل نصرة الإسلام • [أنظر فى فضل هذا الصحابى الجليل (العلم الشامخ) للمقبلى ص ٣٢٣ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧٦ ـ ٧٨ من طبعة (كتاب التحرير) بالقاهرة ـ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٦٢ ، ٣٦٤] •

ثم ينسبه بعض الناس الى البصرة(٢٧) فقد قيل عنه انه (البصرى)(٢٨) . وهذه النسبة ترجع الى مولده ، فقد ورد أنه من أهل البصرة ، حيث كانت ضيعته وكان أهل بيته على نحو ما سيتبين لنا بعد .

---

٢٧ ـ البصرة : تقع على بعد ٣٠٠ ميل جنوب شرقى بغداد ، يمر بها نهرا دجلة والفرات ويذكر فى كتب التاريخ أن الذى أسس مدينة البصرة عتبة بن غزوان سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م بأمر الخليفة فى ذلك الوقت و (البصرة) تعنى (الحجر الأبيض) لأن الأرض التى شيدت عليها من الحجر الأبيض وقد بنى بها الصحابى أبو موسى الأشعرى مسجدا من اللبن المجفف بأشعة الشمس وأعيد بناؤه بعد ذلك من اللبن المحروق والبصرة من المدن التى قامت بها فتن عديدة خاصة فتن الخوارج الذين كثرت دسائسهم ، فكانت مثل الكوفة مرتعا خصبا للحروب الأهلية .

وقد بلغت البصرة أوج ازدهارها زمن العباسيين فى حياتها الاقتصادية والتجارية والثقافية . وتقدمت الحياة العقلية وزاد اهتمام الناس بالمكتبات العامة والمساجد ، وظهرت المساجلات فى النحو وفى غير النحو من العلوم المتعلقة بالعربية وبالدين الحنيف وكانت المنافسة ظاهرة بين البصرة والكوفة . ومن الفقهاء الذين ظهروا فى البصرة : أبو موسى الأشعرى ، والحسن البصرى . ثم تحدثنا كتب التاريخ أن أحرار الفكر خاصة أيام الدولة العباسية كانوا يلتقون فى هذه المدينة فقد عاش فيها اخوان الصفا ، الذين كانوا يتدارسون مسائل عدة ـ وظهرت فرق كلامية متعددة من جهمية ومرجئة وشيعة وخوارج ، الذين أجهدوا الناس بما كانوا يثيرونه من فتن على الدوام . كما كان هناك المشبهة من كرامية وغيرهم . وكان لكل فرقة من هذه الفرق مسائل عدة أثيرت فى الأمور الغيبية . وكان لأسرة أبى الحسن الأشعرى شأنها فى هذه المدينة . وقد نشأ فيها وعرف هذا الجو من الآراء المتضاربة .

غير أن الحال الثقافية ، اضمحلت بعد فترة ظهور القرامطة فى الأفق الذين كانوا يغيرون على مدن العراق ينهبونها وبقوا يمثلون خطرا دائما على العراق لفترة طويلة [أنظر لمزيد من التفاصيل : معجم الأدباء لياقوت جـ ١ صفحة ٦٣٦ ، ٦٥٣ وابن بطوطة ـ جـ ٢ من صفحة ٨ الى ١٦ ، البلاذرى الذى أكثر من الكلام عن البصرة فى مختلف نواحى حياتها [أنظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية م ٣ ـ ٦٦٦ ـ ٦٧٢ . نقلها الى العربية د . محمد ثابت الفندى وآخرون] .

٢٨ ـ الطبقات الشافعية الكبرى : للسبكى جـ ٢ ص ٢٤٥ وفى الطبعة الحديثة جـ ٣ ص ٣٤٧

أما من لقبه : فقـد ورد أنه لقب بـ (ناصر الدين) : فقد نودى على جنازته(٢٩) بذلك ٠

أما فيما يتعلق بمولده ، فلم يظهر خلاف بين المؤرخين حول مكان مولده فقد أجمعوا على أن مسقط رأسه هو البصرة(٣٠) ولكنهم اختلفوا فيمـا يتعلق بتاريخ المولد ٠

فبينما نجد ابن عساكر يقدم لنـا رواية أبى بكر الوزان(٣١) بشأن تاريخ مولده على أنها صحيحة ، وهى التى تحدد تاريخ مولده بسنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٥ م ، نجد ابن خلـكان فى (وفيـات الأعيـان)(٣٢) ، وابن الأثير فى (اللباب)(٣٣) يحددان سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٥ م تاريخا لمولده ، كما ورد فى (الخطط) للمقريزى(٣٤) أنه ولد سنة ٢٦٦ هـ/٨٨١ م ٠

غير أن ابن عساكر من بين هؤلاء جميعا هو الذى يناقش هذا الاختلاف(٣٥) الأمر الذى يجعلنا نركن باطمئنان أكثر الى رأيه ، خاصة وأنه يتفق مع ما ورد من تفاصيل تخص تاريخ تحوله عن الاعتزال ومقدار عمره حينذاك ، اذ قيـل ان هـذا التحول قد وقع سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٥ م(٣٦) وكان له من العمر

---

٢٩ ـ تبيين كذب المفترى : لابن عساكر ص ٣٥ ، ص ١٢٧

٣٠ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٤٦ وأيضا أنظر مصادر سيرته (هامش ١ من هذا التقديم) ٠

٣١ ـ ورد هـذا بصفحة ٣٥ من كتاب تبيين كذب المفترى ٠

٣٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٣٤٦

٣٣ ـ اللباب : لابن الأثير جـ ١ ص ٥٢

٣٤ ـ الخطط : للمقريزى جـ ٣ ص ٣٠٣

٣٥ ـ يلاحظ أن ابن عساكر لا يقبل كل ما يرد عند من ينقل عنهم من أمثال الوزان وغيره ، اذ أنه يوافقه على تاريخ مولد أبى الحسن وذلك طبعـا بعد تحقق يليق ويتفق وموقف ابن عساكر كمؤرخ له مكانته ويخالفه فيما يتعلق بتاريخ الوفاة ٠ [أنظر مثلا ص ١٤٦ ، ١٤٧ من كتاب تبيين كذب المفترى] ٠

٣٦ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٥٦ ـ أنظر أيضا طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٣٤٧ (الطبعة الحديثة) تحقيق الأستاذين محمود الطناحى ود٠ عبد الفتاح الحلو ٠

٤٠ عاما(٣٧) • فيكون تاريخ مولده هو سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٥ م •

بيئتـــه الخـاصة :

لم تقدم لنـــا المصادر فيما يتعلق ببيئته الخاصة سوى النذر القليل(٣٨) ، اذ لم يرد عن والده : اسماعيل بن أبى بشر اسحق ••• سوى أنه كان (سنيا جماعيا ، حديثيا) وقال ابن فورك [ت ٤٠٦ هـ / ١٠٢١ م] أنه أوصى عند

---

٣٧ ــ نفس المرجع السابق ــ وهذا ما ينتهى اليه أيضا الأب آلار Allard فى كتابه (مشكلة الصفات الإلهية فى مذهب الأشعرى وأوائل كبـار الأشعرية) • Le Probleme des Attributs divins dans la doctrine d'al-ash'ari et de ses premiers Grands, dis ciples - Beyrouth 1965 — p. 28.

حيث نجده يعتمد على رأى المستشرق ريتر Ritter فى تقديمـه لكتاب (مقالات الإسلاميين) بالنسبة لتاريخ تصنيف هـذا الـكتاب وما ورد به من أحداث استطاع أن يؤرخ بعضها (نفس المرجع السابق) •

ومما هو جدير بالذكر أن فؤاد سزجين فى كتـاب (تاريخ التراث العربى) عن بروكلمان جـ ١ ص ٢٠٧ يقول : (ويقال ان أول مرة هجر فيها حلقته [يقصد الجبائى] كانت فى رمضان سنة ٢٨٠ هـ / ٩١٢ م) ولم يذكر من أين استقى معلوماته عن هـذا التاريخ اذ لم نقع فيما ذكر من مصادر على هـذا التحديد • وأغلب الظن أنه حـدث هنـا سهو فى تسجيل التاريخ الهجرى لأن ما يقابله من تاريخ ميلادى أقرب الى سنة ٣٠٠ هـ منه الى سنة ٢٨٠ هـ • واذا كان ما ذكره فؤاد سزجين صحيحا فأغلب الظن أننا هنا ازاء محاولة أولى من قبل الأشعرى للتخلص من الاعتزال ، وسيادته يشير فعلا الى أنها محاولة أولى • ويكون الخروج عن الاعتزال لم يكن فجأة وانما كانت له بوادره عشرين سنة قبل حدوثه وهو ما يتفق وحقيقة تحول خطير كهذا [أنظر صفحة ١٥ وما بعـــدها من الدراسة] •

٣٨ ــ ربمـا يرجع ذلك الى أن المؤرخين القدامى ، قد رأوا فى عدم التعرض تفصيلا لمعالم سيرته مصلحة وذلك بابعاد ما كان من أمره مع المعتزلة عن جمهور المسلمين الذين أصبحو يرون فى أبى الحسن الأشعرى منقذا أخذ بيدهم من عثرات الخوض فى عقليات المعتزلة ، خاصة وأنه ظهر جرحه لذلك • [أنظر (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص ٩٣ : (مثالب أبى الحسن الأشعرى) للأهوازى ــ وأيضا (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزى جـ ٣ ص ٣٣٢] •

وفاته الى زكريا بن يحيى الساجى رحمه الله (٣٩) [ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م] ٠

غير أن هـذا النذر القليل يلقى بعض الضـوء على النشـأة الأولى لأبى الحسن ، اذ من الواضح أن هـذا الوالد كان على عقائد أهل السنة والجماعة ٠ فقد ورد أنه كان : (سنيا ، جماعيا ٠٠٠) بل كان من العارفين بعلوم الحديث ، وهو ما يزيد من قدره كرجل علم ينتمى الى جماعة المحدثين ٠

ولا غرابة فى هـذا وهو من أسرة اشتهرت بين العـرب بالصـلاح والتقوى ، فهو من سلالة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ، الذى انفتح قلبه للإسلام ، من قبل ملاقاته للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ فصار يردد هو وقومه : (غدا نلقى الأحبة ، محمدا وحزبه) كمـا سبق وأشرنا الى ذلك ٠ ومما يزيد من قدر هذه الأسرة أنه كان لهذا الجد الأكبر مكانته عنـد النبى صلى الله عليه وسلم ٠ فقد قال ، عليه الصـلاة والسلام ، فيه ، وفى قومه الأحاديث ، ودعا لهم(٤٠) ٠ وكان لأولاد أبى موسى بعد ذلك ، وأحفاده فضل

---

٣٩ ـ (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص ٣٥ ـ والساجى : هو زكريا ابن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر بن عدى ابن عبد الرحمن البصرى ، أبو يحيى الساجى ، الحافظ ٠ يقول عنه السبكى : انه من الثقات الأئمة ، رحل الى الكوفة والحجاز ومصر ، وله من المصنفات (اختلاف الفقهاء). و (اختلاف الحديث) وهو ما سماه الذهبى (بالعلل) على حدّ قول السبكى ، كما له مصنف فى الفقه والخلافيات : سماه (أصول الفقه) ويقول السبكى ان أبا الحسن قد روى عنه ، كمـا يقول نقلا عن الذهبى : انه أخذ عنه مذهب أهل الحديث [أنظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى. جـ ٣ ص ٢٩٩ (الطبعـة الحديثة) أنظر أيضا الهـامش الذى أثبتـه المحققان بنفس الصفحة] ٠

٤٠ ـ جاء أنه عندما تليت الآية الـكريمة (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) [من آية ٥٤/٥] وكان أبو موسى حاضرا ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هم قومك يا أبا موسى ، أهل اليمن) [رواه البخارى ومسلم] كما قال عليه الصلاة والسلام : (الإيمان يمان ، والحكمة يمانيـة) وقال : (أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وألين قلوبا) [رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ٠ [التبيين : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٩١ ، ١٠٤ وهناك أحاديث أخرى كثيرة فى أهل اليمن ـ أنظر التبيين : ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ـ ثم أنظر الطبقات للسبكى جـ ٣ ص ٣٦٢ (الطبعة الحديثة] كما ورد أنه لمـا رمى أبو عامر بسهم فى ركبته وكان أبو موسى برفقته ، طلب وهو يلفظ أنفاسه =

رعاية أمور المسلمين(٤١) بالعدل والتقوى وخشية الله ، عاملين بما أنزل سبحانه من أحكام فى الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ٠

فوالد (أبى الحسن) من أهل السنة والجماعة ، ويكون بالتالى قد أراد لولده ما أراده لنفسه ، وهذا ما ظهر فيما أوصى به عند وفاته الى زكريا بن يحيى الساجى رحمه الله ٠

والشيخ الساجى كما تبينا(٤٢) من كبار رجال أهل السنة فهو امام من أئمة الحديث والفقه وأصوله ٠

فاذا أردنا أن نتعرف على أثر هذا الوالد فى ولده ، فيكون ذلك فيما تكشف عنه هذه الوصية من أنه كان يريد لابنه ثقافة سنية حديثية ، تبعد عن رأى الفرق الخاصة وتأخذ برأى الجماعة ٠

فالى أى حدٍّ ، وعلى أى وجه تم تحقيق هذه الوصية ؟

مما لاشك فيه أن الوالد قد توفى و (أبو الحسن) ما زال فى سن تلقى دروسه الأولى : من اتقان القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن ٠٠٠

غير أن من تكفل به بعد وفاة والده ، وأغلب الظن أنه كبير من أسرته ، قد نفذ وصية الوالد بدليل أنه اتجه نحو تلقى ثقافة اسلامية أصيلة ، اذ لم يقف الأمر عند حدٍّ الساجى ، بل نراه قد سمع(٤٣) أيضا على

= الأخيرة أن يطلب من النبى صلى الله عليه وسلم ، عند لقائه أن يستغفر له ، ففعل واستغفر له النبى عليه الصلاة والسلام ولأبى موسى الأشعرى ودعا لهما [التبيين ص ٦٣] أنظر فى فضل أبى موسى (العلم الشامخ) للمقبلى ص ٣٢٣ ـ (الطبقات الكبر) لابن سعد جـ ٨ ص ٧٦ ، ٧٧ (كتاب التحرير) (تهذيب التهذيب) ٥ : ٣٦٢ ـ المعارف لابن قتيبة ص ٤٩

٤١ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر من صفحة ٧٠ الى ٩١

٤٢ ـ أنظر هامش رقم ١٨

٤٣ ـ الخطط للمقريزى جـ ٣ ص ٣٠٣ ـ أنظر أيضا : طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ ٣ ص ٣٥٥ من الطبعة الحديثة (تحقيق الأستاذ محمود الطناحى ـ و د ٠ عبد الفتاح الحلو) ٠

أبى خليفة الجمحى(٤٤) وسهل بن نوح(٤٥) ، ومحمد بن يعقوب المعبرى(٤٦) ، وعبد الرحمن بن خلف الضبى(٤٧) ٠

وهؤلاء جميعا من المحدثين ، وقد روى عنهم أبو الحسن فى تفسيره ، الأمر الذى يجعلنا نتبين أنه تلقى فى مستهل حياته ثقافة قرآنية حديثية واسعة ٠

كمـا ورد أنه كان يتفقه على أبى اسحق المروزى(٤٨) ٠ وهو من كبار رجال الفقـه ، اذ كان يجلس أيام الجمعات فى حلقته ٠ بجامع المنصور(٤٩) ٠

فهو اذن قد حصل العلوم الإسلامية من ينابيعها السنية ، فقد حفظ القرآن والحديث ، وأتقن علومهما ، ودرس الفقـه وأصوله ، وعلوم اللغة ، وأصول التفسير ، وبرع فى ذلك كله ٠

وتكون بيئته الخاصة ، بفضل توجيه والده ، قبل وفاته ، قد كان لهـا الأثر كل الأثر فى تلقيه العلوم الدينية على أيدى كبار رجال الدين من أئمة أهل السنة فى ذلك الحين ٠

هـذا فيما يتعلق بالقرآن والحديث والفقه وأصوله ٠

أما فيما يتعلق بالعقائد ، فقد كان من الطبيعى ٠ وهـذه هى أجواء بيئته

---

٤٤ ـ وهو عبد الرحمن بن عبد السلام الجمحى [ت ٣٠٣ هـ / ٩٣٨ م] وقد روى عنه أبو الحسن الأشعرى فى تفسيره [أنظر الطبقات الشافعية جـ ٣ ص ٢٦٤ ـ الطبعة الحديثة] ٠

٤٥ ـ يذكر أنه روى عنه (أبو الحسن) وذكره فى تفسيره وأنه كان (بصريا) [نفس المرجع السابق ص ٣٥٥] ٠

٤٦ ـ روى أيضا عنه أبو الحسن فى تفسيره ٠ [نفس المرجع السابق] ٠

٤٧ ـ والأمر بالمثل بالنسبة للضبى فهو من الذين روى عنهم الأشـعرى ٠ [نفس المرجع السابق أنظر أيضا : تهذيب التهذيب ١٠٤/٦] ٠

٤٨ ـ هو ابراهيم بن أحمد (أبو اسحق) تخرج عليه كثيرون من أهل عصره فى الفقه وأصوله وقد توفى سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ ـ ٩٥٢ م ـ [أنظر لمزيد من التفاصيل ، (وفيات الأعيان) لابن خلكان جـ ١ ص ٧ ، ٨ ـ أيضا (تاريخ بغداد) لابن الخطيب م ٦ ترجمة رقم ٣٠٤٠

٤٩ ـ تبيين كذب المفترى ٠ لابن عساكر ص ٣٥

الخاصة أن يتجه الى الأخذ بآراء المحدثين والفقهاء فيها ، ولكن يبدو أنه قد دخل هذه البيئة الخاصة عنصر ، لم يكن (فى الحسبان ، وهو زواج أمه من أحد كبار رجال الاعتزال فى ذلك الحين وهو أبو على الجبائى)(٥٠) [ت ٣٠٣ هـ ٩١٨ م] ، فقد ورد هـذا الخبر فى بعض المراجع المتأخرة مثل (الخطط) للمقريزى(٥١) [ت ٨٤٥ هـ / ١٥٦٠ م] و (جلاء العينين)(٥٢) للألوسى (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٩٦ م) ٠

وليس هناك ما يمنع صحة هـذه الواقعة ، خاصة وأنه ما ورد من أخبار عن صلة (أبى الحسن) بالجبائى تشير الى أنه بقى بجواره ثلاثين عاما ، حتى تاريخ تحوله عنـه(٥٣) ، سـنة ٣٠٠ هـ/٩١٥ م ٠ معنى هذا أنه ، أى (أبا الحسن) قد شرع فى تتبع آراء الجبائى ، الكلامية وهو فى سن العاشرة ، اذ سبق أن انتهينا الى أنه قد ولد سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٥ م(٥٤) ٠

فارتباطه به منذ هـذه السن المبكرة ، يرجح وجود هذه العلاقة الأسرية بين أبى الحسن والجبائى ، وان كان يجوز أيضا ألا تكون الأمور كذلك ، ويكون ارتباطه المبكر بالجبائى ، وبقاؤه بجواره طوال هذه الفترة يرجع الى انبهاره بأساليبه العقلية فى تناول العقائد ، وفى كلتا الحالتين ، فقـد بدأ (أبو الحسن) صقله الذهنى فى الكلاميات على الجبائى ومدرسته مبكرا ، ممـا هيأه الى اتقان أساليبهم وضبط ردوده عليهم ، أى على أهل الاعتزال فيما بعـد ٠

---

٥٠ ـ هو أبو على بن عبد الوهاب بن سالم ، ولد فى (جبّا) فى الخورستان سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٨ م ولذا فهو ينسب اليها ثم جاء الى البصرة ، وتتلمذ للشحام ثم ذهب الى بغداد ٠ وهو من كبار رجال الاعتزال ، ولمـا مات دفنه ابنه أبو هشام [ت ٣٢١ هـ / ٩٣٢ م] فى جبّا وكان ذلك سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٨ م ـ ألف كتابا فى الأصول ونقد ابن الراوندى الملحد ، كما يقال انه كتب تفسيرا للقرآن بلغة أهل (جبّا) وكتب حوالى أربعين ألف ورقة فى الكلام ٠ [أنظر كتاب (التنبيه) للملطى ص٣٢ ـ و (تاريخ بغداد) جامعة القاهرة سنة ١٩٣١ جـ ٦ ص ٩٧] ٠

٥١ ـ الخطط للمقريزى جـ ٣ ص ٣٠٣

٥٢ ـ جلاء العينين للألوسى ص ١٣٢

٥٣ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٣٩ ، ٥٦ ، ٩١ ـ وأيضا طبقـات الشافعية للسبكى جـ ٣ من صفحة ٣٤٧ الى ٣٤٩ من الطبعة الحديثة) ٠

٥٤ ـ أنظر صفحة ٤ من هذه الدراسة ٠
للشحام ثم ذهب الى بغداد ٠ وهو من كبار رجال الاعتزال ولمـا مات

ويبدو أنه كان يعيش بعد وفاة والده ، من ريع ضيعة وقفها جده بلال ابن أبى بردة على عقبة(٥٥) . فقد قال خادمة بندار بن الحسين(٥٦) ، وهو من الصوفية الواصلين ، (وكانت نفقته فى كل سنة سبعة عشر درهما)(٥٧) من غلة هذه الضيعة .

فاذا كان لبيئة أبى الحسن الخاصة أثر فى حياته ، فيمكننا أن نقول : انه ، وهو العقل المنقد ، والنفس الوثابة ، والقلب المتفتح الى التحقق برضى الله تعالى ، قد عرف ، عندما قرب من الأربعين ، كيف يعزف عن أقوال أهل الزيغ والبدع ، ويأخذ من العلوم التى زاولها بالقدر الذى يخدم به عقائد المسلمين أجمعين ، ويعتمد فى موقفه الجديد(٥٨) على أصول السلف الصالح التى لم يحد عنها من بعد ، على نحو ما سنتبين ذلك عند دراسة منهجه ، واستطاع فى الوقت نفسه ، استجابة لمقتضيات عقول الناس فى ذلك الحين ، أن يستعين بالعقل ، ويقدم وجبة دسمة من الأقوال لأهل عصره . مع الحرص على اعطاء مكان الصدارة والأولوية للنص المنزّل ، وهو ما جعله ملتزما بموقف السلف ، لأن معالم الوقفات تكون فى أصولها ، على نحو ما سيتبين لنا ذلك بعد ، عند دراسة منهجه .

---

٥٥ ـ تبيين كذب المفترى ـ لابن عساكر ص ١٤٢ ـ أنظر هامش رقم ٢٦ من هذا التقديم .

٥٦ ـ هو بندار بن الحسين بن المهلّب ، ، الشيرازى (أبو الحسين الصوفى) سكن أرّجان ، قال السلمى : (كان عالما بالأصول ، له اللسان) المشهور فى علم الحقيقة ، وكان الشبلى يكرمه ويقدمه ، وكان يصوّبه أقاويل المشايخ ، وقال فيه الخطيب : (كان بندار من أهل الفضل الميّزين بالمعرفة ، والعلم وقد توفى سنة ٣٥٣ هـ / ٩٨٨ م [أنظر لمزيد من التفاصيل ـ حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٨٥ ـ الطبقات للشعرانى ج ١ ص ١٠٣ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٣ ص٢٣٨ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر صفحة ١٧٩ ـ الطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ صفحة ٢٢٤ (الطبعة الحديثة)] .

٥٧ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر صفحة ١٤٢

٥٨ ـ لقد خرج أبو الحسن الأشعرى وهو فى سن الأربعين على الاعتزال ، على نحو ما سنتبين ذلك تفصيلا بعد .

أما فيما يتعلق ببيئته العامة :

فلقد عاش أبو الحسن الأشعرى فيما بين عامَى ٢٦٠ هـ ، ٣٢٤ هـ / ٨٧٥ م ، ٩٣٩ م(٥٩) أى فى الشطر الأخير من القرن الثالث الهجرى والربع الأول من القرن الرابع ٠

وهـذه فترة ، كمـا نعلم ، تقع فى أواخر أيام الدولة العباسية ، حيث كثر توالى الخلفاء لعدم استتباب أمور الحكم لهم ، وظهرت دويلات صغيرة : كالدولة السامانية سنة ٢٦١ هـ/٨٧٦ م ، والدولة البويهية أو دولة بنى بويه سنة ٣١٠ هـ/٩٢٥ م ، ودولة الحمدانيين سـنة ٣١٧/٩٣٢ م ، وغير هـذه وتلك من الدول التى ظهرت بمصر وغيرها (٦٠) ٠ وقد بقيت هـذه الدول ، رغم استقلالها ، على اظهار ولائها للخليفة العباسى السنى ، تثبيتا لاتجاهها السنى من جهة ، ومن جهة أخرى خشية أن يسيطر عليها الخليفة الفاطمى ويتولى الخلافة على المسلمين وقد كانت الدولة الفاطمية حينئذ فى عنفوانها ، وكان اتجاهها شيعيا(٦١) ٠

ولا يخفى ما يمكن أن يكون لتنزعزع السلطة الحاكمة من أثر فى العقائد ، لما بين الحال السياسية ، والحال الدينية من صلة وثيقة ، تختلف آثارها ، بالنسبة لسيادة آراء الفرق باختلاف قوتها ، فقد كان من أثر ضعف السلطة الحاكمة فى ذلك الحين أن زاد تراشق الفرق بالألفاظ ، عن علم أو عن غير علم ، واختفت سيطرة الفرقة الواحدة الغالبة ، وكانت فى الزمن الذى يسبق هـذه الفترة ، فرقة المعتزلة ، التى حظيت بتقـدير كبـار خلفـاء العبـاسيين لفترة طويلة : اذ لا يغيب عنـا أن أبا جعفر المنصور [ت ١٥٨ هـ/٧٧٣ م] قد اهتم

---

٥٩ ـ صفحتى ٩ ، ١٠ من هـذا التقديم ٠

٦٠ ـ أنظر : البداية والنهاية لابن كثير جـ ١١ ، جـ ١٢ ، وأيضا : الكامل لابن الأثير جـ ٢ ، جـ ٣ وجلاء العينين للألوسى ص ١٣٣ (عن القرامطة المنسوبين للحمدانيين) ٠

٦١ ـ ظهرت دولة الفاطميين فى المغرب العربى ، وكانوا يعتبرون أنفسهم من أولاد على ، ولم يلتزموا الاتجاه السنى الخالص وكان قيامهم حوالى سنة ٢٩٧ هـ/٩١٢ م (أنظر : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٤ ، جـ ٥ ، وأيضا : البداية والنهـاية جـ ١١ ، جـ ١٢ ، والـكامل لابن الأثير جـ ٢ ، جـ ٣) ٠